الدرس السابع :

إنَّ الله طيِّب لا يقبل إلا طيبًا

روى الإمام مسلم ، عن أبي هريرة ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال : « **إنَّ الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى :** ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون:٥١)، وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٢)، **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمدُّ يديه إلى السماء يقول : يا رب . . . يا رب! ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذِّي بالحرام ، فأنَّى يستجاب لذلك** »[1].

معنى الطيب :

الطيب هنا بمعنى : الطاهر النظيف ، والله تعالى طاهر مُنزَّه مقدَّس ، إنه تعالى مُتَّصف بكل كمال ، مُنزَّه عن كل نقص وعيب .

الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا ، فهو لا يقبل من الأعمال إلا طيبًا ، ولا يقبل من الأقوال إلا طيبًا ، ولا يقبل من العقائد إلا طيبًا ، ولا يقبل من الخلق عنده إلا طيبًا .

الكلمة الخبيثة لا تقبل عند الله ، والعمل الخبيث لا يقبل عند الله ، والإنسان الخبيث لا يقبل عند الله . . . وكل هذه الأشياء تنقسم إلى طيب وخبيث . . . ﴿ قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِ ﴾ (المائدة:١٠٠).

---

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥) ، وأحمد (٨٣٤٨) ، والترمذي في تفسير القرآن (٢٩٨٩) ، عن أبي هريرة .

OBEIKAN.COM

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة :

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ (إبراهيم: ٢٤-٢٦).

الكلمة الطيبة تُقبل عند الله : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر: ١٠).

الإنسان الطيب والإنسان الخبيث :

والإنسان الطيب مقبول عند الله ، والإنسان الخبيث مرفوض مكروه من الله ، لا يدخل الجنة إلا طيب ، ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (النحل: ٣٢)، هنالك يدخل عليهم خزَنة الجنة محيِّين مكرمين قائلين : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ (الزمر: ٧٣). أما ذو القلب الخبيث ، والعمل الخبيث ، والاعتقاد الخبيث ؛ فهيهات هيهات أن يَرِد ماء الجنة ، أو يأكل من ثمارها ، لا بد أن يُطيب قلبه ويطهره ، إما بماء الدموع والتوبة في الدنيا ، وإما بنار الآخرة . . .

لا يقبل الله مالاً خبيثًا :

والله لا يقبل من العمل إلا ما كان طيبًا ، وخاصَّة الصدقة . . . فإن الله لا يقبل إلا الطيب من الصدقات . . . فإذا اكتسب الإنسان ماله من سُحت ، من خبث ، من حرام ، فإن الله سبحانه لا يقبل منه صدقة يتصدقها . . . وكيف يقبل صدقة من مال خبيث؟! إن الإسلام لا يقول لمَن كسب المال من السُحت والحرام : تصدَّق به ، وأنفقه في سبيل الله . بل يقول له : طهِّر مالك أولاً . . . ردَّه على أصحابه ، ردَّه إلى مَن ظلمتهم وأخذتَ منهم هذا المال بغير حق . . . ولهذا روى الإمام مسلم ، عن النبي ﷺ قوله : « لا تقبل صلاة بغير طُهُور ، ولا صدقة من غُلُول »[1]، والغُلُول : هي الخيانة ، والأخذ من المال العام ، كمال الغنائم ، ومال الدولة ، وغير ذلك .

---

(١) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٤) ، وأحمد (٤٧٠٠) ، والترمذي (١) ، وابن ماجه (٢٧٢) ، كلاهما في الطهارة ، عن ابن عمر .

إن الإسلام لا يقول لمن اكتسب مالاً من حرام . طهِّره بإخراج زكاته ، ربع عشره أو نحو ذلك . ولكن يقول : أخرجه كله عن ملكك ، وأعده إلى أهله ، إلى أصحابه ، فهم أحق به . ولا تجب الزكاة عليك فيه ، لأنه ليس ملكك ولا مالك ، والزكاة إنما هى فرع الملك ، ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم ﴾ (التوبة:١٠٣) .

الصدقة بالخبيث جزاؤها النار :

فمَن أخذ مالاً من حرام ، ثم أراد أن ينفقه في الخير ، مثل أن يبني به مسجدًا أو يعمل به مشروعًا خيريًا ، أو يتصدَّق به على يتيم أو مسكين ، فإن الله لا يقبل منه ذلك أبدًا . وقد قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه فيمن فعل ذلك ، فقال : مثل مَن فعل ذلك كمَن أخذ مال يتيم وكسا به أرملة[1]. أي : إن مال اليتيم ، مَن أكله ، فإنما يأكل في بطنه نارًا وسيصلى سعيرًا ، فكيف يأخذ المال بغير حق ، ليكسوَ به أرملة؟!

لِيُطبْ مَطْعَمه أولاً ، وليبحث عن كسبه أولاً ، وهذا الكسب يجب أن يكون حلالاً .

ولهذا جاء في الحديث الشريف : «مَنْ كسب مالاً من حرام ، ثم تصدَّق به لم يكن له فيه أجر ، وكان إصره عليه»[2].

الحرام لا يُملك :

الوزر والعقاب عليه ، وليس له أجر ولا ثواب في هذه الصدقة ، ولا في ذلك الإنفاق . . . لأنه في الحقيقة يتصدق بغير ماله ، وبغير ما يملك ، لأن الحرام لا يملك . . . مهما ظلَّ في حَوْزة مَن وضع يده عليه بغير حق ، ولو امتدَّ ذلك

---

(١) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي صـ١٠٢ ، طبعة دار المعرفة بيروت .

(٢) رواه ابن خزيمة (٢٤٧١) ، وابن حبان (٣٢١٦) ، وقال الأرناؤوط : إسناده حسن ، والحاكم (٣٩٠/١) ، وصححه ووافقه الذهبي ، والبيهقي في الكبرى (٨٤/٤) ، أربعتهم في الزكاة ، عن أبي هريرة ، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٥٢) .

OBEIKAN.COM

السنين الطوال ، فإن مضيَّ الزمن في الإسلام لا يحلُّ الحرام ، ولا يبيح المحظور ، ولا يسلب السرقة صفتها الأولى .

بعض القوانين الوضعية تنصُّ على أنه إذا مرَّ على المِلك غير الشرعي في يد صاحبه ، مدة تطول أو تقصر ، يصبح ملكًا له ، ويُتغاضى عن أصل هذا المال !!

ولكن الإسلام لا يعتبر ذلك أبدًا ، ولا يعتبر مالاً أصله حرام ، ولا يعتدّ به مهما طال الزمن . . .

الصدقة لا تطهر المال الحرام :

المال الحرام مهما تصدَّق به الإنسان أو أنفق ، أو أسَّس به مشروعات للبرِّ والخير ، فإن الله لا يقبلها .

روى الإمام أحمد ، عن ابن مسعود ، أن النبي ﷺ يقول : « إن الله قسَّم بينكم أخلاقكم كما قسَّم بينكم أرزاقكم ، وإنَّ الله يعطي الدنيا مَن يحب ومَن لا يحب ، ولكنه لا يعطي الدين إلا مَن أحب ، فمَن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، والذي نفسي بيده لا يُسلم عبد حتى يُسلم قلبه ولسانه » ، وفي رواية : « لا يَسلم عبد حتى يَسلم (بفتح الياء) قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه » ، قالوا : وما بوائقه ؟ قال : « غشه وظلمه » . ثم قال : « ولا يكسب عبد مالاً من حرام فيتصدق به فيقبل منه ، أو ينفقه فيبارك له فيه ، أو يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار ، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ، وإنما يمحو السيئ بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث »[1] .

فإذا كسب الإنسان ماله من حرام ، ثم أراد أن يطهره بالصدقة ، فهذا كمن يغسل القاذورات بالبول ، لا يمكن أن يطهر القذر بهذا النجس .

---

(١) رواه أحمد (٣٦٧٢) عن ابن مسعود ، وقال محققوه : إسناده ضعيف لضعف الصباح بن محمد ، والبزار (٢٠٢٦) ، والبيهقي في الشعب باب قبض اليد على الأموال (٥٥٢٤)، وأبو نعيم في الحلية (٦٦/٤) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجال إسناده بعضهم مستور وأكثرهم ثقات (٢١٣/١) ، والأرجح اعتبار الحديث موقوفا ، وإن كان له حكم الرفع . انظر المنتقى (٩٦٠).

إن الصدقة تنفع إذا كانت من كسب طيب ، وقد قال النبي ﷺ « من تصدق بعدل تمرة ـ بمثل أو بقيمة تمرة ـ من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا طيبًا ، فإن الله يتقبلها بيمينه ، ثم يُربِّيها لصاحبها ، كما يُربِّي أحدكم فَلُوَّه ـ أي المهر الصغير ـ حتى تكون مثل جبل أحد »[1].

أما الكسب الحرام فإنه لا يَرُوج عند الله ، ولا يقبل عند الله .

أن يكسب الإنسان ماله من سُحت ، من غَصب ، من سرقة ، من رشوة ، وإن أخذ بصورة العمولة أو الهدية . أن يكسب أمواله من تلك الوجوه الخبيثة والموارد المنتنة ، ثم يحاول أن يضحك على الله ، فيأتي لينفق ويتصدق ، فإن الله لا يُضحَكُ عليه ، ولا يَرُوج عنده الزَّيف ، وإنَّ الله طيب لا يقبل إلا طيبًا .

روي في الحديث : « إذا خرج الرجل حاجًّا بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز ، فنادى : لبيك اللهم لبيك . ناداه منادٍ من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور . وإذا خرج بالنفقة الخبيثة ، فوضع رجله في الغرز ، فنادى : لبيك . ناداه مناد من السماء : لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك غير مبرور »[2].

إنَّ الله لا يقبل إلا طيبًا . . . طيِّبوا مطاعمكم ومكاسبكم أولاً .

المرسلون والمؤمنون في طلب الحلال سواء :

ولهذا قال النبي ﷺ : « إن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾ (المؤمنون:٥١)، وأمر المؤمنين فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٢) » .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (١٤١٠) ، ومسلم (١٠١٤) ، كلاهما في الزكاة ، كما رواه أحمد (٨٣٨١) ، عن أبي هريرة .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٥٢٢٨) ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن داود اليماني وهو ضعيف (٥٢٢/١٠) ، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٤٠٣) .

لقد أمر الله الفريقين أن يأكلوا الطيبات ، فإن الخبيث مهما حلا في الفم ، واستساغه الذوق ، ومهما طيَّبه الطهاة ، فإنه خبيث عند الله ، وعاقبته في النار ، وصاحبه إنما يأكل في بطنه نارًا . والعياذ بالله .

ومعنى قوله تعالى : ﴿ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (البقرة:١٧٢)، أي اشكروه على نعمه ، وعلى طيباته ، وعلى أن وفقكم إلى أكل الحلال : ﴿ كُلُواْ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُواْ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ (سبأ:١٥).

من شروط إجابة الدعاء :

لا يريد الله من الناس إذا أكلوا طيبات الحياة ، وتمتعوا بزينة الله التي أخرج لعباده والطيبات والمستلذات من الرزق ، لا يريد منهم إلا أن يشكروا له هذه النعمة .

فإذا أكل الناس طيبًا وشكروا لله وعملوا صالحًا ، ثم دعوا الله ، فإن الله تعالى أهل للإجابة ، وقد قال : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر:٦٠)، ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ (البقرة:١٨٦).

ولكن من شروط إجابة الدعاء أن تكون عند ما أمر الله ، أن تلتزم حدود الله ، أن تقف عند نهي الله عز وجل ، ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يجدك حيث نهاك . وأهم ما يتجلى فيه ذلك : أن يطيب مطعمك ، فلا تأكل إلا ما يحل لك . أما أن تنغمس في المحرمات ، وأن تتورط في المعاصي ، وأن تكون حياتك كلها حرامًا في حرام ، ثم تدعو . . . فإن الله لا يقبل مثل هذا الدعاء .

السفر مدعاة لإجابة الدعاء :

ولهذا ذكر النبي لنا نوعًا من الناس ، يطيل السفر أشعث أغبر ، يقول : يا رب . . . يا رب ! ولكن الله لا يستجيب له . مع أن هناك دواعي إجابة الدعاء . . . فإن السفر وغُربة الإنسان عن وطنه ، وغيبته عن أهله ، مدعاة لإجابة الدعاء ، ومظنة لصعود الدعاء واستجابته .

دعوة الغائب ، الغريب ، المسافر ، من الدعوات القريبة الاستجابة من الله ، فما بالك إذا أطال السفر . . .

OBEIKAN.COM

حال الافتقار من دواعي الإجابة :

وحاله أشعث أغبر ، أي : تبدلت حاله ، وتبدلت هيئته ، وضاع الشباب والرونق والجمال . . .

مثل هذا يكون قريبًا من الله ، كما في الحديث : « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره »[1]، وفى رواية : « كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »[2] فإن الله لا يعامل الناس بالمظاهر ، ولا ينظر إلى الصور ، ولكن ينظر إلى السرائر والقلوب . فهذا الذي يطيل السفر أشعث أغبر أدعى أن يستجاب له . وبخاصة أن هذا السفر كما يبدو منه سفر طاعة ، كسفر الحج أو العمرة . أو على الأقل سفر لأمر مشروع ، ككسب العيش .

رفع اليدين إلى السماء من دواعي الإجابة :

ثم من دواعي إجابة الدعاء أن يمدَّ الإنسان يديه ، ورفع اليدين مبسوطتين دليل المسكنة ، ودليل الحاجة إلى الله ، ولهذا جاء في الحديث : « إنَّ الله حيٌّ كريم ، يستحي إذا رفع الرجل إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين »[3].

الإلحاح في قول : (يا رب) مظنَّة الإجابة :

ثم من دواعي الإجابة أن يقول : يا رب . . . يا رب !

بهذا الاسم الحبيب إلى الرحمن ، أي إنه هو الرب ، المالك ، الرازق ، المُنعم ، المُربِّي ، ويكرِّر هذا ويلح على الله . . .

---

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢٢) ، وابن حبان في التاريخ (٦٤٨٣) ، والحاكم في الرقاق (٣٢٨/٤) ، عن أبي هريرة .

(٢) سبق تخريجه صـ ٤٨ .

(٣) رواه أبو داود في الصلاة (١٤٨٨) ، والترمذي في الدعوات (٣٥٥٦) ، وقال : حديث حسن غريب ورواه بعضهم ولم يرفعه ، وابن ماجه في الدعاء (١٢٧١) ، وابن حبان في الرقائق (٨٧٦)، وقال الأرناؤوط : حديث قوي ، والبيهقي في الكبرى جماع أبواب صفة الصلاة (٢١١/٢) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٢٠) .

ولهذا كان الصالحون والأنبياء والمؤمنون يبدأون دعاءهم بهذا : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (البقرة:٢٠١)، ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ ﴾ (آل عمران:١٩٣)، ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ (الكهف:١٠)، ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾(آل عمران:٨)، ﴿ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ (القصص:٢٤). . وهكذا . . . بهذا اللفظ . . . لفظ الربوبية .

فمع هذه الدواعي كلها : إطالة السفر ، والشعثة والغبرة ، ورفع اليدين إلى السماء ، ومع الإلحاح ، وتكرير يا رب . . . يا رب . . . مع هذا لا يستجاب دعاء ذلك الرجل . . . لماذا؟! لأنه ، مع تلك الأسباب ، جاء بموانع أخرى ، تحول دون الإجابة .

من موانع الإجابة :

لا بد من أجل حصول الشيء أن تتهيَّأ أسبابه ، وتزول موانعه ، وهنا مانع منع الإجابة . . . وهذا المانع أنه يعيش من الحرام ، وحياته مملوءة بالحرام . . . متوسع في الحرام . . . أكلاً وشربًا ولبسًا وتغذيةً ، كله حرام في حرام . . . ولهذا قال النبي ﷺ : « مأكله حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغُذِّيَ بالحرام ، فكيف يستجيب الله له؟؟ ».

إننا إذا عرفنا ذلك ـ أيها المسلمون ـ عرفنا لماذا ندعو فلا يستجاب لنا[1]؟

لأننا ـ كما روى البخاري عن النبي ﷺ ـ لا نبالى أن نأكل الحرام في هذا الزمن ، ولا يهم الواحد منا أحرامًا كان كسبه أم حلالاً ؟ اسمعوا ما ورد في الحديث : « يأتي على الناس زمان لا يبالى المرءُ ما أخذ ، أمن الحلال أم من الحرام؟ »[2].

وكثيرًا ما نسمع أناسًا يقولون في هذه الأيام : (حرام كَلْناه ، حلال كَلْناه) بغير اكتراث ولا مبالاة .

وقد كان السلف يدققون ويسألون أنفسهم : من أين هذه اللقمة؟ ومن أين هذا الدرهم ؟ ومن أين هذا الدينار؟! فلا يقبل لنفسه إلا ما كان حلالاً زلالاً .

---

(١) انظر : خطب الشيخ القرضاوي خطبة بعنوان (لماذا لا يستجيب الله لنا) (٢٧٤/٣)، طبعة مكتبة وهبة . القاهرة .

(٢) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩) ، والنسائي في البيوع (٤٤٥٤) ، عن أبي هريرة

OBEIKAN.COM

أما نحن فنأخذ من كل ما هبَّ ودبَّ ، ولا نبالي أكان هذا من الحلال أم كان من الحرام ؟

والله تعالى لا يقبل من عبادٍ ارتكبوا الحرام ، وانتهكوا الحُرمات ، واقترفوا المُوبقات ، وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

قال النبيُّ ﷺ : « والذي نفسي بيده ، لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابًا منه ، ثم تدعون فلا يستجاب لكم »[1] . وفي رواية : « والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ، ولتنهونَّ عن المنكر ، أو ليسلطنَّ الله عليكم شراركم ، ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم »[2] .

حتى الخيِّرون رفضت دعواتهم ، لأن الفساد قد عمَّ ، والخبث قد طمَّ ، والشرَّ قد انتشر . . . ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ﴾ (الأنفال:٢٥).

فلا بدَّ أن نرجع إلى الله ، وأن نُطهِّر القلوب ، وأن نُطهِّر المكاسب ، وأن نعيش بالحلال ، ونقنع بالقليل من الحلال ، فهو خير من الكثير من الحرام ، فإن ما قلَّ وكفى ، خيرٌ مما كثُر وكان أصله من حرام .

إذا فعلنا ذلك ، فإنَّ الله أهلٌ لأن يجيب دعواتنا ، وإلا فهيهات هيهات أن يستجيب الله لنا دعاء ، مهما ألمَّت بنا المُلمَّات ، وأحاطت بنا المُدلهمَّات .

نحن ندعو الإله في كلِّ كرب ثم ننساه عند كشف الكروب
كيف نرجو إجابةً لدعاء قد سددنا طريقها بالذنوب؟

* * *

---

(١) رواه أحمد (٢٣٣٢٧) ، وقال محققوه : صحيح لغيره وهذا إسناد ضعيف ، والترمذي في الفتن (٢١٦٩) ، وقال : حديث حسن ، والبيهقي في الشعب باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧٥٥٨) ، وفي الكبرى كتاب آداب القاضي (٩٣/١٠) ، عن حذيفة ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠) .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (١٣٧٩) ، عن أبي هريرة ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حبان بن علي ، وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها (٥٢٦/٧) .